آليات المنهج التّداولي ودورها في الكشف عن الأنساق المضمرة والمعاني الضمنيّة

The mechanisms of a pragmatic method in revealing implicit patterns and indirect meanings

صبرينة بوطبّة رضا زلاقي

مخبر الممارسات الثّقافيّة والتّعليميّة والتّعلّميّة

في الجزائر . جامعة تيبازة ،

جامعة أمحمّد بوقرّة . بومرداس .(الجزائر)

الإيميل المهنيS.boutebba@univ-boumerdes.dz

البريد الإكتروني:zellagui28@gmail.com/ boutebbasabrina2018@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/09/30	تاريخ: القبول: 2022/11/24	تاريخ النشر: 2022/12/31

المستخلص:

يتّخذ المنهج التّداولي من العناصر السياقية دعامة رئيسة لتقصّي دلالة الكلام ومقاصده، وذلك بالاستناد إلى مجموعة من المفاهيم التداولية أبرزها: أفعال الكلام، متضمّنات القول، الاستلزام الحواري، الافتراض المسبق. ومن هنا تأتي أهميّة هذه الأوراق البحثية التي تسلّط الضوء على أبرز مفاهيم التّداولية وتجسيد آليات هذا المنهج للكشف عن الأنساق المضمرة، والمعاني الضمنيّة في بعض الشواهد الشعرية العربيّة.

كلمات مفتاحية: أفعال الكلام؛ القصد؛ متضمنات القول؛ الاستلزام الحواري.

Abstract :

In tracking discourse purposes and significance, we based this pragmatic study upon contextual elements by focusing on some important concepts, namely: speech acts, presuppositions and conversational implicatures.Therfore, this research paper highlights the main concepts of pragmatics and the way they are employed to reveal implicit patterns and indirect meanings.

Keywords : speech acts ; intent ; presuppositions ; conversational implicatures.

1.مقدمة:

عرفت اللسانيات العربيَّة انفتاحًا واسعًا على الفكر اللساني الغربي، حيث نقلت معارف لسانيَّة متعدّدة إلى الثقافة اللغوية العربيَّة خاصَّة ما تعلَّق منها بمناهج دراسة وتحليل الخطاب. ولمّا كانت مرحلة اللسانيات البنيوية تهتم أساسًا بنظام اللغة دون الاعتداد بنوايا المتكلم، وسياق التَّلفظ فإنَّ مرحلة ما بعد البنيوية شهدت تغييرا جذريا في الفكر اللساني الغربي، إذ جاءت اللسانيات التداولية كعلم جديد للتواصل، تدرس الظواهر اللّغوية في مجال الاستعمال وتقوم التّداولية المعاصرة على مفاهيم متعدِّدة ومختلف فيها من حيث أنواعها وعددها، وهذا راجع لما علّلته فرنسواز أرمينكو إلى اختلاف مشارب الباحثين وتوجّهاتهم العلميّة، ومن أبرز المفاهيم التّداولية التي يكثر تناولها عند الدّارسين(متضمنات القول، الاستلزام الحواري، والأفعال الكلامية).ولمّا أدرج المنهج التّداولي السامع ومعطيات السّياق في دراسته أخرج اللغة من الصورية البنيوية إلى مجال اللغة العادية والاستعمالية. فإذا كان المنهج التَّداولي من خلال آلياته قد تجاوز مرحلة البحث الصّوري في اللغة فكيف يمكن استثمار آليات هذا المنهج في الكشف عن الأنساق المضمرة، والمعاني الضّمنية؟

ومن هنا تأتي أهميّة هذا المقال في إبراز دور هذه الآليات في الوقوف على مقاصد الخطاب.

2. مفهوم التداولية:

1.2.المفهوم اللغوي للتداولية:

مصطلح التداولية حديث النشأة كمقابل للمصطلح الأجنبي(Pragmatique)، مع طه عبد الرحمن ويتحدد معنى الكلمة انطلاقًا من جذرها اللغوي (د، و، ل).

-جاء في لسان العرب " تداولنا الأمر: أخذناه بالدّول. وقالوا دواليك:أي مداولة على الأمر. ودالت الأيّام أي: دارت والله يداولها بين النّاس. وتداولته الأيدي أخذته هذه مرّة وهذه مرّة."[1] . يتضح من التعريف أنّ دلالة الجذر اللغوي (د، و، ل) تشير إلى المشاركة، الانتقال، والتبدّل.

يعود مصطلح(Pragmatique)عند غير العرب في أصل وضعه إلى الكلمة اليونانية (Paragma) التي تعني الفعل أو العمل، إذ أوّل ما وظّف كان في مجال تنظيم الكنيسة ثم اكتسى المصطلح مفهوم التداول على السلطة وفي حدود ستينيات القرن العشرين أصبح المصطلح يحيل إلى "**الدّراسة الفلسفية للكلام العادي**"[2]. وبهذا يمكن القول أنّ المعنى اللغوي العام للمصطلح؛ لا يخرج عن معنى الانتقال والدّوران والفعلية والعملية.

2.2. التداولية اصطلاحا:

تعدّدت مفاهيم التّداولية أو(Pragmatique)؛ سواء تعلّق الأمر بعلماء الغرب أم العرب وهذا راجع لما علّلته فرانسواز أرمينكو (Françoise Armengaud) إذ تقول:" التداولية كبحث في قمة ازدهارها لم يتحدّد بعد في الحقيقة ولم يتمّ بعد الاتفاق بين الباحثين فيما يخصّ تحديد افتراضاتها واصطلاحاتها..."[3]. ويُفهم من القول أنّه من الصّعب الإلمام بجميع جوانب التداوليّة خاصة وأنها قامت على مصادر معرفية مختلفة(علم النّفس اللغوي،علم الاجتماع...).

3. التداولية عند الغرب:

إنّ أقدم تعريف للتداولية الفلسفية اللسانية يعود إلى شارل موريس (Charles w Morris) 1938، الّذي يعرفها على أنّها" جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعمل العلامات."[4]،ما يُلاحظ حول التعريف أنّه واسع؛ فصاحب التعريف لا يقتصر على العلامة اللغوية فقط وهذا ما يجعل التداولية تتجاوز المجال اللساني لتشمل مجالات غير لسانية.

ويعرفها كل من **آن** ماري دييرAnne- Marie Diller)) وفرانسوا ريكاناتي(François Récanati) على أنّها :" دراسة استعمال اللغة في الخطاب، شاهدة في ذلك على قدرتها الخطابية."[5] ومنه فإنّ التّداولية-حسبهما- ، تهتم بدراسة الخطابات اللغوية قيد الاستعمال.

4.التداولية عند العرب:

برزت بعض الجهود الجادّة في هذا المجال، ومن أهمّها جهود الفيلسوف المغربي طه عبد الرّحمن الّذي يُعزى له فضل ترجمة مصطلح(pragmatique) بالتّداولية في قوله: " وقد وقع اختيارنا منذ سنة 1970 على مصطلح التّداوليات مقابلا للمصطلح الغربي (Pragmatique) لأنّه يوفِّي حقّه باعتبار دلالته على معنيين الاستعمال والتّفاعل معاً."[6] فبالرّغم من تعدّد المقابلات العربية للمصطلح كالنفعيّة والذّرائعية والبراغماتية...إلّا أنّ ترجمة طه عبد الرّحمن كانت الأكثر رواجا بين الدّارسين.

يعرِّف طه عبد الرحمن التداولية بقوله: " هو وصف لكلّ ما كان مظهرًا من مظاهر التّواصل والتّفاعل بين صانعي التّراث من عامّة النّاس وخاصّتهم."[7]. إنّ هذا التّعريف موصول بالتّعريف اللغوي من حيث دلالته على التّفاعل كما أنّه لا يخرج عن التّعاريف الغربية إلّا فيما تعلّق بالجانب اللّغوي التّراثي.

أمّا مسعود صحراوي فيعرِّفها على أنّها:" ليست علمًا لغويًا محضًا بالمعنى التقليدي، علمًا يكتفي بوصف ووتفسيرالبنى اللغوية، ويتوقف عند حدودها، وأشكالها الظاهرة. ولكنها علم جديد للتواصل؛ يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، ويدمج من ثمَّ مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي، وتفسيره."[8]. وبهذا فإنّه ينفي كون التّداولية

تقف عند دراسة اللّغة صوريا، بل تدرس الظواهر اللّغوية في واقع الاستعمال مع الاستعانة بمعارف العلوم الأخرى.

5.أبرز مفاهيم التّداولية:

تقوم التداولية المعاصرة على مفاهيم متعدِّدة ومختلف فيها؛ من حيث أنواعها وعددها وهذا راجع لما علّلته فرنسواز أرمينكو-أشرنا إليه سابقا- ،ومن أبرز المفاهيم التي كثر تناولها عند الدّارسين: متضمنات القول، الاستلزام الحواري، نظريّة الملاءمة، والأفعال الكلامية.

1.5.متضمنات القول (Les Implicites):

تشكّل متضمنات القول " مفهومًا إجرائيًا تداوليًا يهتمّ برصد الجوانب الضمنية والخفيّة من الخطابات."[9]،فهي تستهدف الجوانب التلميحيّة الغامضة للخطاب؛ والتي لا يُصرّح بها لكنّها محتواة في الخطاب.

2.5.الافتراض المسبق (Présupposition) :

هو نمط من أنماط متضمنات القول، ويُقصد به:" كلّ تواصل لساني ينطلق فيه الشّركاء من معطيات وافتراضات مسبقة معترف بها ومتّفق عليها، تشكّل هذه الافتراضات الخلفيّة التّواصلية الضرورية لتحقيق النّجاح في عمليّة التّواصل."[10]. يُفهم من التّعريف أنّ الافتراض المسبق هو المرجعيّة التي يستند إليها طرفي العمليّة التواصليّة لتحقيق تواصل ناجح.

2.5..مثال الافتراض المسبق:

***الشّاهد:**[11]

له لحظات عن حفافي سـريره إذا كرّهـا فيها عـقـــــاب ونـائـل.

لهم طينة بيضاء من آل هاشم إذا اسودّ من لؤم التراب القبائل

- تحليل الشاهد:

هذه أبيات لإبراهيم بن هرمة الذي قدِمَ على أبي جعفر المنصور؛ ليَمدحه بقصيدة افتتحها بهذه الأبيات.

إنّ المتكلم ينطلق في مدحه للخليفة من افتراضات مسبقة منها: أنّ ممدوحه خليفة عباسي، وأنّ العبّاسيين ادعوا إرجاع الخلافة الحقَّة، وأنّهم يفضلون أن يُمدحُوا بالتقوى والصلاح والرشد ...).

إنّ هذه الافتراضات التي توفرت عند المتكلم؛ جَعَلَتْهُ يَعْدلُ عن مدح الخليفة بالأمور التي اعتادها العرب فلم يصفه بالأسد أو الشجاع في الحرب، أو ...، و إنّما اختار أن يبنيَ مدحه بأمور يحبّذُها الممدوح والتي تسمح له بتحقيق تواصل ناجح بينه وبين المخاطَب.

3.5.الأقوال المضمرة:

تشكِّل النّمط الثّاني من متضمنات القول، وقد جاء تعريفها في كتاب النّظريّة البراغماتية اللسانية على أنّها :" كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحويها، لكنّ تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث."[12] إذن فالأقوال المضمرة تمثّل المعارف غير الظاهرة على سطح الخطاب؛ إلّا من خلال تأويلها في ضوء السِّياق الّذي ترد فيه.

1.3.5.- مثال الأقوال المضمرة:

***الشّاهد:** عن حكيم بن حزام قال:" قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم:...اليد العليا خير من اليد السّفلى..."[13]

***تحليل الشّاهد:**

يتّضح من خلال الشّاهد أنّ الخطاب وارد بصيغة الإخبار،وهذا ما تؤكّدّه القوّة الإنجازيّة الحرفيّة للفعل الكلامي، وإذا ما تمّ الاحتكام إلى المعنى الظّاهر للفعل الكلامي، فإنّ مؤدّاه أن تكون يدك مرتفعة إلى الأعلى خير وأفضل لك من أن تكون يدك مبسوطة ومنخفضة إلى الأسفل، ولكن بالنّظر إلى ملابسات الخطاب وسياق الكلام يتّضح أنّ قصديّة الفعل

الكلاميّ تتعدّى المعنى الظّاهري الوراد بصيغة الإخبار إلى قصديّة المتكلّم الّتي يمكن حصرها في:

- الدّعوة إلى التّنافس في مجال البذل والعطاء والتّصدّق.

- النهي عن السؤال والدّعوة إلى التعفّف وذمّ المسألة وسؤال النّاس.

- حفظ كرامة النّفس واجتناب ما قد يكون سببا في مذلّتها وإهانتها.

كلّ هذه المعاني يمكن أن يخرج إليها الفعل الكلاميّ (اليد العليا خير من اليد السفلى)

4.5.الاستلزام الحواري l'implication-Conversationnelle :

مفهوم تداوليّ؛ بنى تصوراته بعض فلاسفة أكسفورد على رأسهم غرايس(Paul Grice) الّذي أكّد أنّ: " التأويل الدّلالي للعبارات في اللغات الطبيعية أمر متعذِّر إذا نُظر فيه إلى الشّكل الظّاهري لهذه العبارات ... فالعديد من الجمل إذا رُوعِيَ ارتباطها بمقامات إنجازها لا ينحصر فيما تدلُّ عليه صيغها الصّورية، ومن ثمَّ يتمُّ الانتقال من المعنى الدَّلالي الصّريح إلى المعنى غير الصّريح (المعنى المستلزم)."[14] إذن ليس كل خطاب يكتفي بمعناه الحرفيّ بل هنالك خطابات أخرى لا تكتفِي بالدّلالة الظاهرة ؛وإنّما تتجاوزها إلى معانٍ يستلزمها المقام التّواصليُّ.

1.4.5.- مثال الاستلزام الحواري:

أورد أحمد شوقي شعرًا قصصيّا على لسان الحيوان، منها قصّة " **النّملة الكسلانة"** التي خالفت معشر النّمل في سنن الحياة، إذ عزفت عن العمل وارتضت بالكسل... ولنا أن نورد بعض الأبيات من القصّة والتي عبّرت عن الحوار الذي دار بين النّملة الكسلانة والنّملات الأُخريات:

***الشاهد:**

النّملة الكسلانة: تقول هل من نملة تقيّة تُنعمُ بالقوت لذي الوليّه.

النّملات الأُخريات: متى رضينا هذي الحال متى مددنا الكفّ للسؤال.

ونحن في عين الوجود أمّه ذات اشتهار بعلوّ الهمّه.

***تحليل الشّاهد:**

لو تأمّلنا المعنى الحرفي لجواب النملات عن سؤال النملة الكسلانة؛ لوجدنا المعنى متمثّل في **الاستفهام** عن الوقت الذي صار فيه النَّمل محتاجًا إلى المسألة، ثمّ انتقلن للإخبار عن شهادة العالم بأسره لهنّ- معاشر النّمل- بقوة العزيمة والهمّة. لكن إذا ربطنا هذا الخطاب بالمقام التّواصلي فإنّه ثمّة معنى آخر مستلزم وهو: **رفض الاستجابة لمطلب النّملة.**

*** ملاحظة:**

الأصل أن تتمّ التّفاعلات الحوارية وفقَ ما أسماه غرايس(Paul Grice)مبدأ التّعاون الحواري؛ بقواعده الأربعة" **الكم، الكيف، الملاءمة، والجهة."**[15] فبمجرّد اختراق أحد طرفي العملية التّواصليّة إحدى هذه القواعد؛ ننتقل من التّعاون الحواري إلى الاستلزام الحواري حيث أنّ المعاني المستلزمة لا يمكن الوصول إليها دون الاعتماد على متضمنات القول.

6.نظرية الملاءمة:

هي نظرية معرفيّة تقوم أساسًا على"النّظريّة القالبية لفودور(Fodor)، وكذلك مبدأ الملاءمة المتعلِّق بالنّظرية الحواريّة عند غرايس((Paul Grice)."[16] إذن فنظريّة الملاءمة تبني معالمها انطلاقًا من معطياتٍ نفسيّةٍ إدراكيّةٍ من علم النّفس المعرفي، إضافة إلى استفادتها من فلسفة اللّغة العاديّة. ترتكز نظريّة الملاءمة على مجموعة تصوّرات منها:

1.6.-" **المناسب الاستدلالي"**[17]؛ وهذا المصطلح يُعنى في شقِّه الأوّل بالمتكلّم؛ الّذي يتخيّر الملفوظات التي يراها الأنسب لتبليغ قصده للمخاطَب. أمّا الشّق الثّاني من المصطلح؛ فيرتبط بالمخاطَب الّذي يستهدف قصد المتكلِّم فيسعى للاستدلال والوصول إليه اعتمادًا على خطاب المتكلّم وملابسات الخطاب.

2.6.- " **درجة الملاءمة**"[18] ويُقصد بها:" الجهد المعرفي المبذول في معالجة الملفوظات" إذ العلاقة بين الجهد المعرفي المبذول ودرجة الملاءمة علاقة عكسيّة، لا طرديّة بحيث إذا ازداد الأوّل قلّ الثّاني والعكس صحيح.

7.أفعال الكلام عند الغرب.

تبنَّى مبادئ النظرية مجموعة من فلاسفة أكسفورد- بعد تأثرهم بفلسفة اللغة العاديّة بزعامة لودين فنغنشتاين(ludwig wittengenestein) – وعلى رأسهم جون لانجوا أوستين(John.Langshaw. Austin) وجون روجر سيرل(John.Roger.Searl).

1.7.أفعال الكلام عند أوستين.

يعدّ أوستين مبلور النظرية وواضع المصطلح وقد تلخّصت أفكاره في نقطتين هما:[19]

- رفضه ثنائية الصّدق والكذب.

- إقراره أنّ كلّ قول عبارة عن فعل.

***ملاحظة:**

إنّ رفض أوستين ثنائيّة الصدق والكذب؛ جاء ردًّا على فلاسفة **الوضعيّة المنطقيّة** الذين حصروا وظيفة اللغة في وصف وقائع العالم الخارجي؛ بعبارات إخباريّة يُحكم عليها بالصّدق أو الكذب. أمّا إقراره أنّ كلّ قول عبارة عن فعل، فهذا راجعٌ لملاحظته نوعًا آخر من العبارات التي " لا تقول شيئًا عن حالة الكون الرّاهنة أو السّابقة وإنّما تغيّرها وتسعى إلى تغييرها."[20] ، فهذا النّوع من العبارات لا تنطبق عليها مواصفات العبارات الإخباريّة. وتندرج ضمنها جمل: الاستفهام، الأمر، النّهي...

- **مثال:** نمثل للنوع الأوّل من العبارات (الإخباريّة):

الشاهد: يقول لبيد :" ألا كل شيئ ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل."[21]

***تحليل الشاهد:**

ورد البيت الشعري بصيغة الإخبار، فصَدْرُ البيت حُكِم عليه بالصّدق "أصدق كلمة قالها لبيد"،أمّا عجز البيت فقد حُكِم عليه بالكذب لقول أبي بكر الصدّيق –رضي الله عنه- :" لا عند الله نعيم لا يزول".[22]

أما النوع الثّاني من العبارات (الإنشائية) نمُثّل لها بقول أبي الأسود الدّؤلي :

"لا تنه عن خلق وتأتي مثله عارٌ عليك إذا فعلت عظيم."[23]

***تحليل الشاهد:**

صَدْرُ البيت هو عبارةٌ إنشائيّةٌ طلبيّةٌ وردت بصيغة النّهي؛والمتكلم لا يصف فيها شيئا في العالم الخارجي، لهذا لا يُمكن الحكم على العبارة بالصّدق أو الكذب.لكنّها تسعى إلى إحداث التّغيير؛ تغيير سلوك اجتماعي غير مرغوب فيه.

1.1.7.الفعل الكلامي الكامل عند أوستين:

ميز أوستين-كما ذكرنا سابقا- بين العبارات الإخبارية والعبارات الإنشائية. ولأن تقسيمه كان غير دقيقٍ نظرًا لتبادل الوظائف بين العبارات الإنشائية والإخبارية وعدم استقرارها. هذا ما جعله يعدل عن تقسيمه الأول إلى تقسيم الفعل الكلامي إلى ثلاثة أفعال فرعية كما يوضّحه المخطّط الموالي:[24]

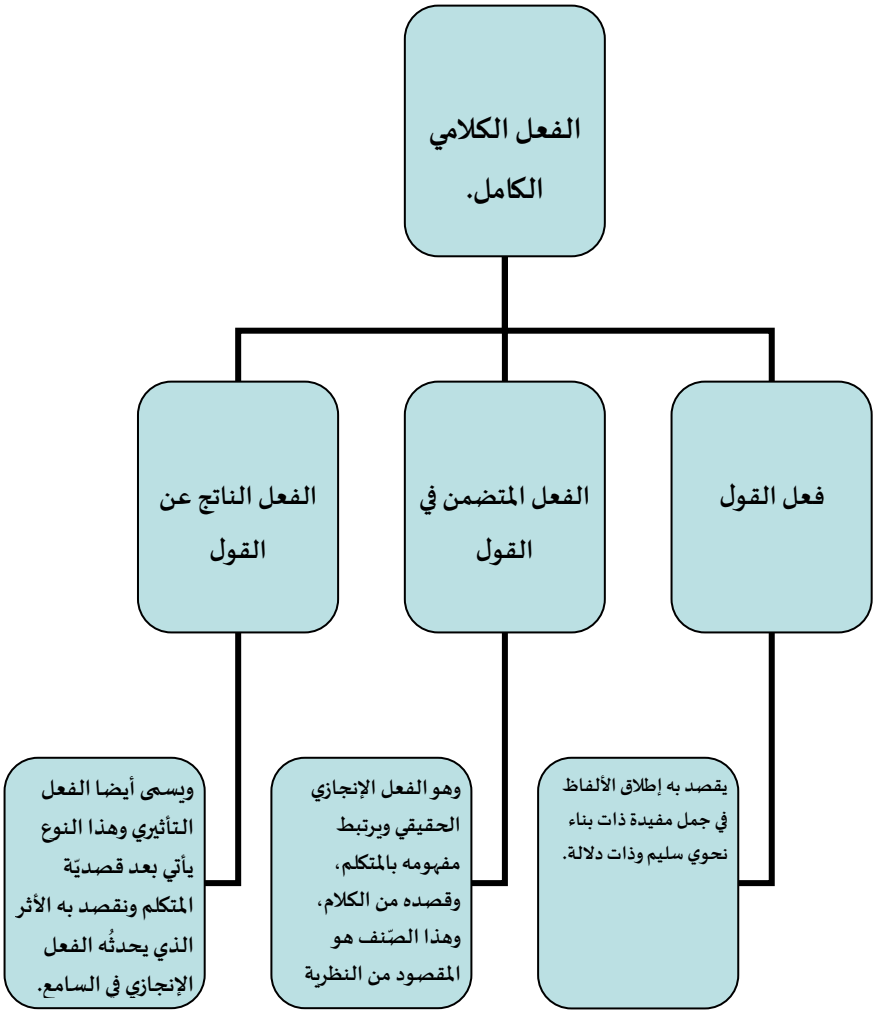

مخطّط يوضّح أقسام الفعل الكلاميّ

يتّضح من المخطّط أنّ أوستين قد جعل الفعل الكلامي الكامل إلى ثلاثة أفعالِ، (فعل القول والفعل المتضمّن في القول) مرتبطان بالمتكلم،في حين يرتبط الفعل النّاتج عن القول بالطّرف الثّاني من عمليّة التّواصل وهو المخاطَب . يتحقّق فعل القول بمجرّد إطلاق اللفظ مع مراعاة نظام لغةٍ ما (صوتًا، تركيبًا، و دلالةً)، أمّا الفعل المتضمّن في القول فهو النواة الحاملُة

جوهرَ الفعل الكلامي؛ والمتمثّل في قصديّة المتكلم، أمّا الفعل النّاتج عن القول فهو الذي يعكس مدى فَهْمِ السّامعِ قَصْدَ المتكلم علمًا أنّه لا يصل إليه دون الاستعانة بمتضمّنات القول والاستلزام الحواري.

2.7.أفعال الكلام عند سيرل:

بعدما تأثّر سيرل بفلسفة اللغة العاديّة –على غرار أوستين- تصدّى لدراسة وتطوير القاعدة التي أرسى معالمها أوستين؛ والمتعلقة بأفعال الكلام حيث قدّم سيرل خطواتٍ أساسيّة مكمِّلة لمرحلة الانطلاق و المتمثّلة في: الفعل الإنجازي (مباشر/غير مباشر)، القوة الإنجازيّة، تصنيف الأفعال الكلاميّة ...

1.2.7.الفعل الإنجازي عند سيرل:

ذكرنا –سابقا- أنّ أوستين قسّم الفعل الكلامي الكامل إلى ثلاثة أفعال فرعيّة، وأنّ الفعل المتضمّن في القول هو نواة الفعل الكلامي. وقد جاء سيرل فصَبّ اهتمامه على نواة الفعل الكلامي فجاء بما اصطلح عليه: الأفعال الإنجازيّة المباشرة وغير المباشرة، أو(الحرفيّة وغير الحرفيّة).

.1.1.2.7الأفعال الإنجازيّة المباشرة (الحرفية):

وهي التي " تطابق قوّتها الإنجازيّة مراد المتكلم؛ فيكون معنى ما ينطقه مطابقٌ مطابقةً حرفيّة وتامّة لما يريد قوله."[25]؛ إذن الأفعال الإنجازية المباشرة تُعبّر صراحة عن قصد المتكلم فمعاني كلمات العبارة ونظام قواعدها كفيلان لإدراك المخاطَب القصد من الخطاب.

***مثال:** نمثّل للفعل الإنجازي المباشر بالآتي:

الشاهد: عن أبي سعيد الخدري قال"... فقال لهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم-" أعطوا الطريق حقّه..."[26]

*** تحليل الشاهد:**

تندرج العبارة ضمن الأفعال الإنجازيّة المباشرة،لأنّ معناها الحرفي مطابقٌ تماما مع قصد المتكلم؛ والمتمثّل في: **الأمر بمراعاة حق الطريق**، و تتجلّى هذه المطابقة التّامة - بين المعنى الحرفي وقصد المتكلّم -أكثر من خلال بيان المتكلم –في آخر الحديث- حقوق الطريق التي حصرها في: (غضُّ البصر، كف الأذى،إفشاء السَّلام،الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر).

2.1.2.7.الأفعال الإنجازية غير المباشرة (غير الحرفية):

يُقصد بها كلّ" استراتيجيّةٍ لغويّةٍ تلميحيّةٍ، يعبّر بها المتكلم عن القصد بما يُغايِر معنى الخطاب الحرفي، فما ينطقه المتكلّم غيرُ مطابقٍ لما يريد قوله."[27]؛ إذن الأفعال الإنجازيّة غير المباشرة تُخالف قوّتها الإنجازيّة قصد المتكلم، وبهذا فإنَّ السامع حتى يصل إلى قصديّة الخطاب؛ عليه الاستعانة بمعطياتٍ خارجيّة يوفرها السيّاق.

***مثال:** يمكن التّمثيل لهذا النّوع بالآتي:

الشاهد: يقول الإمام علي بن أبي طالب –رضي الله عنه- :[28]

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها إلّا التي كان قبل الموت يبنيها.

فإن بناها بخير طاب مسكنها وإن بناها بشرٍ خاب بانيها .

أموالنا لذوي الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدّهر نبنيها."

***تحليل الشاهد:**

تضمّنت الأبيات الشعريّة سلسلةَ أفعالٍ كلاميّةٍ، يدلّ معناها الحرفي المباشر على الإخبار؛ فالمتكلم يذكر للمخاطَب حقائق عامّة يدركها. لكن إذا ربطنا خطاب المتكلم بالمقام الاجتماعي والثّقافي الذي نتج فيه، وكذلك الشخص الذي صدر منه الخطاب... عندها يتمكّن متلقي الخطاب من إدراك قصد المتكلم المتمثّل في: الوعظ، الإرشاد...

***ملاحظة:**

أشار سيرل في معرض حديثه عن الأفعال الإنجازية إلى القوة[29]الإنجازيّة التي يُستدلّ عليها: **دليل القوة الإنجازيّة** وهو الذي" يؤدّيه المتكلم بنطقه للجملة كالنّبر والتنغيم وصيغ الفعل..."

مثال القوة الإنجازية.

الشَّاهد: يقول الشاعر؛ مسكين الدّارمي:

أخاك أخاك إنَّ من لا أخا له كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح.

تحليل الشاهد:

إنَّ المتكلم (الشاعر)، بصدد التَّنبيه على ضرورة حفاظ المرء على أخيه، لأنَّه السَّند والسَّاعد الأيمن له في جميع أحواله، وقد دعَّم المتكلم كلامه بقوة إنجازية؛ نستدلُّ عليها من خلال إيراد التَّوكيد اللّفظي، إيراد " إنَّ" أداة توكيد، العدول عن التصريح إلى التلميح؛ باستخدام الصور البيانيَّة.

تصنيف سيرل الأفعال الكلامية:

قام سيرل بإعادة النّظر في تصنيف أوستين للأفعال الكلامية، حيث اعتمد على مجموعة من المبادِئ، ثمّ جعلها خمسة أصناف نلخّصها في مخطّط الصّفحة المواليّة.

المخطَّط: [30]

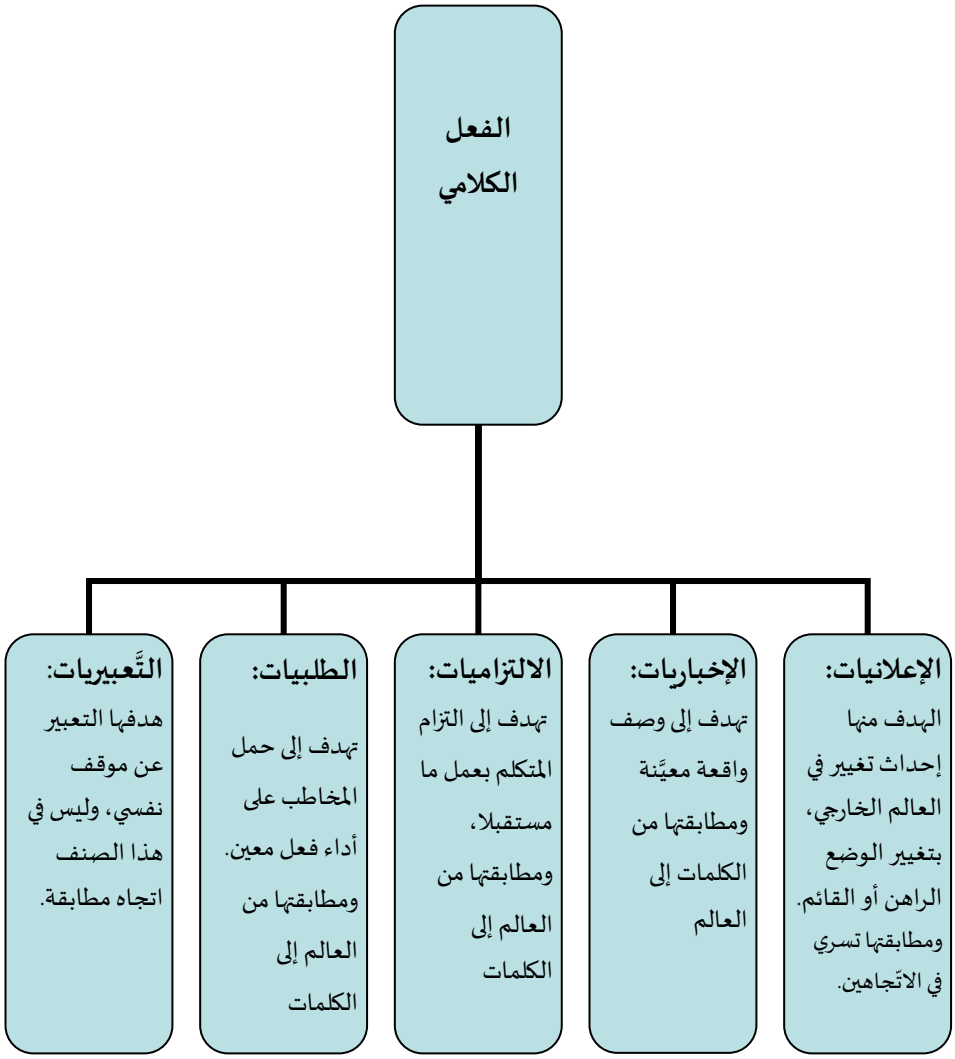
الفعل الكلامي
الإعلانيات:
الهدف منها إحداث تغيير في العالم الخارجي، بتغيير الوضع الراهن أو القائم. ومطابقتها تسري في الاتّجاهين.
الإخباريات:
تهدف إلى وصف واقعة معيَّنة ومطابقتها من الكلمات إلى العالم
الالتزاميات:
تهدف إلى التزام المتكلم بعمل ما مستقبلا، ومطابقتها من العالم إلى الكلمات
الطلبيات:
تهدف إلى حمل المخاطب على أداء فعل معين. ومطابقتها من العالم إلى الكلمات
التَّعبيريات:
هدفها التعبير عن موقف نفسي، وليس في هذا الصنف اتجاه مطابقة.

يمثل المخطط تصنيف الأفعال الكلامية عند سيرل؛ حيث جعلها خمسة أصناف، وقد جاء تقسيمه مبنيًا على أُسس وضوابطَ؛ منها الغرض الإنجازي واتجاه المطابقة.

إنَّ صنف الإخباريات، الالتزاميات، التعبيريات، والإعلانيات؛ رغم اختلاف مطابقتها، فمنها ما يتجه من الكلمات إلى العالم أو العكس،ومنها ما انعدمت فيه المطابقة، أو ما كان له تطابق في الاتجاهين .إلاّ أنها تشترك في كونها خاصة بالمتكلم؛ فالمتكلم يُخبر ويُلزم نفسه، ويعبّر عمّا في نفسه ويعلن عن أمور يرغب في تحقيقها على أرض الواقع. أما صنف الطَّلبيات، فإنَّه وإنْ كان المتكلم هو الذي يُصدِرُهُ فهو مرتبط أكثرَ بالمخاطَب فهو المعنيُّ بإنجاز فعل معين.

8.أفعال الكلام عند العرب (البلاغة العربية):

اهتمَّ علماء البلاغة العرب بالبعد التداولي للغّة؛ خاصَّة فيما يتعلق بظاهرة الأفعال الكلامية؛ التي كانت أكثرَ وضوحاً في مبحث الخبر والإنشاء الذي يُعدُّ مقابلًا لمفهوم الأفعال الكلامية في اللّسانيات التداولية.

1.8.الخبروالإنشاء في البلاغة العربية:

تعددت تعاريف الخبر والإنشاء عند البلاغيين، لكنَّ الشائع في تعريفها ما جاء به القزويني الذي عرَّفهما بقوله:" ووجه الحصر أنَّ الكلام إمّا خبر أو إنشاء، لأنَّه إمَّا أن يكون لنسبته خارجٌ؛ تُطابقه أو لا تطابقه، أو لا يكون لها خارج. الأوَّل الخبر والثاني الإنشاء"[31]. يفهم من التعريف أن البلاغيين حصروا الكلام في ثنائية الخبر والإنشاء، وهذا شبيهٌ بما فعل أوستين؛ الذي حصر الكلام في ثنائية الوصف /الإنجاز.

أما من حيث أقسامُ الخبرِ والإنشاء؛ فإنَّ الأوَّل قد نظر إليه البلاغيون باعتبار السَّامع،وجعلوه ثلاثةَ أضرب؛ فالخبر عندالسكاكي؛ إمّا أن يكون " إبتدائيًا، أو طلبيًا، أو إنكاريًا"[32]. وإذا كان هذا التَّقسيم الثُّلاثي قائم على أساس إيراد المؤكدات مراعاةً لحال المخاطَب، فإنَّ هذا يُقابله في نظرية أفعال الكلام ما جاء به سيرل لمّا تحدَّث عن مفهوم " دليل القوة الانجازية".

وفيما تعلّق بالإنشاء فقد جعله القزويني ضربان: طلّبٌ وغير طلب" والطلب يستدعي مطلوبًا غير حاصلٍ وقت الطلب، وينقسم الإنشاء الطَّلبي إلى خمسة أقسام رئيسة: " التمني، الاستفهام ، الأمر، النهي، والنداء."[33]

1.1.8.الخبروالإنشاء خلاف مقتضى الظاهر:

قسَّم السكاكي الكلام إلى خبر وإنشاء، ووضع لكل قسمٍ منهما شروطًا مقاميةً تتحكَّم في إنجازه، وقد أشار في مفتاح العلوم أنّه: " متى امتنع إجراء هذه الأبواب على الأصل، تولَّد منها ما ناسب المقام."[34]. إذن يُفهم من قول السكاكي أنه يتفرَّع عن الخبر والإنشاء أغراضٌ ومعاني أخرى؛ غير المعاني الأصلية؛ وهذا في حال إجراء الكلام خلافَ مقتضى الظاهر؛ أي خلاف ما يقتضيه المقام.

فالخبر إذا ما أُجري على غير أصله، يخرج إلى أغراضَ مختلفةٍ، وكذلك الأمر بالنسبة للطلب؛ (الإنشاء)، فإنَّ أنواعه الأصلية تخرج إلى أغراض فرعية؛ كالتوبيخ والإنكار والزجر... أو أن يتم " الانتقال من معنى إلى معنى داخل معاني الطلب الأصليَّة "[35]. أي أنَّه يتولَّد مقاميًا عن الأمر النداءُ، أو الاستفهامُ يتولد عنه الأمر...

إنّ خروج الخبر والإنشاء عن مقتضى الظاهر وتحقيقه أغراضًا غير الغرض الأصلي، مقابلٌ لما جاء في نظريَّة أفعال الكلام عند سيرل؛ وذلك لمَّا تحدَّث عن الأفعال الإنجازية المباشرة وغير المباشرة.

9.خـاتــمـــة:

- من خلال ما قدّمناه سابقا توصَّلنا إلى مجموعة نتائج أهمُّها:

*- التداولية هي دراسة اللغة في الاستعمال، من خلال إقحام الطّرَف الثَّاني في العمليّة التّواصليَّة وهو المُخَاطَب، وكذلك مراعاة كل مُلابسات الخطاب، ومعطيات السّياق.

*- تقوم التَّداولية على مفاهيم عديدة أبرزها: الافتراض المسبق، الأقوال المضمرة، الاستلزام الحواري، أفعال الكلام.

*- تقوم نظريَّة أفعال الكلام على مبدأ القول هو العمل؛ وترتكز النَّظريَّة على: الفعل الإنجازي المباشر، الفعل الإنجازي غير المباشر، القُوَّة الإنجازيَّة...

*- احتواء **التُّراث اللغوي العربي** على أبعاد نظرية أفعال الكلام حيثُ تبرز بشكل واضح في البلاغة العربيَّة من خلال مبحث الخبر والإنشاء.

المـراجـع:

- ابن شرف النووي يحي(2006)، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين،مكتبة العلم، القاهرة.
- -ابن منظور، (أبو الفضل جمال الدين)، (2000)، لسان العرب، دار صادر بيروت، لبنان، ط2،1،ج1، مادّة (د،و،ل).
- ابن هرمة إبراهيم ، شعر إبراهيم بن هرمة، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، (د.ط)، (د.ت).
- -الخطيب القزويني الخطيب ،الإيضاح في علوم البلاغة (البلاغة والبيان البديع) ، دار الكتب العلمية، بيروت،(د.ط)، (د.ت).
- -السكاكي ،(1983)، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت.
- -العياشي أدراوي،(2011)، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، دار الأمان، الرباط.
- -آن روبول وجاك موشلار،(2013)، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني،دار الطليعة،بيروت.
- -باديس الهويمل، (2014)، مظاهر التّداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن.
- -بلخير عمر،(2003)، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النَّظريَّة التَّداوليَّة، منشورات الاختلاف، الجزائر.
- -بودريس، درهمان،(2005)، مدخل إلى النظرية التّداولية، مجلة علوم التربية، المغرب، ع28.
- -حامد كمال عبد الله العربي،(2002)، معجم أجمل ما كتب شعراء العربية،دار المعالي،الأردن.
- -حامد كمال عبد الله حسين العربي، (2002)، معجم أجمل ما كتب شعراء العربية، دار المعالي، الأردن.
- -صحراوي مسعود،(2005)، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت
- -طماس عمرو ،(2004)،ديوان لبيد بن أبي ربيعة،دار المعرفة،لبنان.
- طه عبد الرحمن، (1994)،تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، المغرب،

- -طه عبد الرّحمان ،(2000)، في أصول تجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، (الدار البيضاء المغرب)، بيروت، لبنان.
- عكاشة محمود،(2013)، النظرية البراغماتية اللسانية التداولية، مكتبة الآداب،القاهرة.
- -علي بن أبي طالب،(2007)،ديوان الإمام علي،دار الهدى،الجزائر.
- -عيسى تومي،(2015/2014)، الأبعاد التداوليّة في الخطاب القرآني،-سورة البقرة أنموذجا- مذكرة لنيل شهادة الماجستيرفي الآداب واللغة العربية.
- -فرانسوازأرمينكو،(2000)، المقاربة التداولية،تر:سعيد علوش، مركزالإنماء القومي، الرباط، (دط)،(د.ت).
- -نور الدين أجعيط،(2012)،تداولية الخطاب السياسي، عالم الكتب الحديث،الأردن.
- ياغي هشام،(2009)، مناهج النّقد الأدبي عند العرب، الشركة العربية المتحدة للتسويق و التوريدات، مصر.

الـهـوامـش:

[1] - ابن منظور،((أبو الفضل جمال الدين)،(،2000)، لسان العرب، دار صادر بيروت، لبنان، ط1،ج1، مادّة (د،و،ل)، ص252،253.

[2] -ينظر، بودريس، درهمان،(2005)، مدخل إلى النظرية التّداولية، مجلة علوم التربية، المغرب، ع28، ص114.

[3] - فرانسواز أرمينكو، (2000)، المقاربة التداولية، تر:سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، (دط)،(د.ت)،ص15.

[4] -المرجع نفسه ، ص08.

[5] - فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص12.

[6] - طه عبد الرّحمان ،(2000)، في أصول تجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، (الدار البيضاء المغرب)، بيروت، لبنان، ط2 ،ص27.

[7] - طه عبد الرحمن، (1994)، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1 ، 244ص.

[8] - مسعود صحراوي،(2005)، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، ط1 ، ص16.

[9] - يُنظر، باديس الهويمل، (2014)، مظاهر التّداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، (د.ط)، ص27.

[10] - مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص30.

[11] - إبراهيم بن هرمة، شعر إبراهيم بن هرمة، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، (د.ط)، (د.ت)،ص167.

[12][12] - محمود عكاشة،(2013)، النظرية البراغماتية اللسانية التداولية، مكتبة الآداب،القاهرة،ط1، ص85.

[13] - يحي بن شرف النووي،(2006)، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين،مكتبة العلم، القاهرة،ط2، ص141.

[14]- ينظر، العياشي أدراوي، (2011)،الاستلزام الحواري في التداول اللساني، دار الأمان، الرباط، ط1، ص17، 18.

[15]- يُنظر، نور الدين أجعيط،(2012)، تداولية الخطاب السياسي، عالم الكتب الحديث،الأردن، ط1، ص76،77.

[16]- يُنظر، محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية التداولية،ص94.

[17]- يُنظر، مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص38.

[18]- يُنظر، المرجع نفسه، ص40.

[19]- يُنظر، عيسى تومي، (2015/2014)، الأبعاد التداوليّة في الخطاب القرآني،-سورة البقرةأنموذجا- مذكرة لنيل شهادة الماجستيرفي الآداب واللغة العربية،ص04.

[20]- آن روبول وجاك موشلار، (2013)، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة،بيروت،ط1، ص30.

[21]- عمرو طمَاس ،(2004)، ديوان لبيد بن أبي ربيعة،دار المعرفة،لبنان،ط1، 2004،ص85. ،

[22]- هاشم ياغي، (2009)، مناهج النّقد الأدبي عند العرب، الشركة العربية المتحدة للتسويق و التوريدات، مصر، ص39، 40.

[23]- حامد كمال عبد الله العربي، (2002)، معجم أجمل ما كتب شعراء العربية،دار المعالي،الأردن،ط1، ص372.

[24]- يُنظر، عبد الله بيرم، التداولية والشعر، ص112. ومحمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص46. ومسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص ص 31، 32، 41.

[25]- يُنظر،عبد الله بيرم، التدولية و الشعر،ص.116ومحمود أحمد نحلة،آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،ص83.

[26]- يُنظر،صحيح البخاري،(2333).

[27]- يُنظر،عبد الله بيرم، التداولية والشعر،ص117

[28]- يُنظر،علي بن أبي طالب،(2007)، ديوان الإمام علي، دار الهدى، الجزائر، ص117.

[29]- حامد كمال عبد الله حسين العربي،(2002)، معجم أجمل ما كتب شعراء العربية، دار المعالي، الأردن، ط1، ص91.

[30]- يُنظر، فليب بلانشيه، (2007)، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار، سوريا، ط1، ص66، 67 .

[31]- الخطيب القزويني ،الإيضاح في علوم البلاغة (البلاغة والبيان البديع) ، دار الكتب العلمية، بيروت،(د.ط)، (د.ت)، ص16.

[32]- ينظر، السكاكي ،(1983)، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ص170.

[33]- ينظر، الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص135.

[34]- السكاكي، مفتاح العلوم،ص304.

[35]- يُنظر، عمر بلخير، (2003)، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النَّظريَّة التَّداوليَّة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1،ص175.